الزمن الهارب

تتبعتُه في الشارع بينما كان يهرب ويتخفى مني، فما كان مني إلا الإصرار والعزيمة، التقينا مرةً واحدةً في العمر هناك حيث كنت أشرب فنجان قهوتي في مقهى إعتاد الذهاب إليه، سمعت قصصاً عنه قبلها قالوا أن هناك امرأة فاتنة وقع في حبها هناك، سمعت الكثير والكثير ولم أسمع عنه سوى همساً أحياناً تعمدت سماعه، وفي أحيان أخرى أبديت عدم الرغبة، لكنه في الواقع كان شيئاً يثير اهتمامي ويحرك الفضول في نفسي، حين واجهني على الكرسي فجذبه وجلس لم يرَه غيري، تحدث معي بينما رأيته مجرد خيال كالدخان، تحدث بخفة وألفة كأنه يعرفني وتجاوبت معه على أساس سابق معرفتي بأمره، أمر ما غريب وقتها كان في المقهى ولاحظته حيث لم يلتفت أحد وهذا ما أشعرني بالارتياح، غاب يتكلم بشغف وكأنه يفرغ حمولة زمنٍ قاسٍ في نفسي، وحين بادرته بالأسئلة هرب، شعرت حينها بشيءٍ ثقيلٍ في صدري، ثمة شيءٌ ما جثم على رئتي ولكن هذا لا يهم، فالأهم هو ما تركه فيَّ من سلوكيات لم أستطع التحرر منها، أشعر أنني أصبحت عبداً لتصرفاتي، عبدٌ يتصرف تصرفاتٍ تزعجه ولا يرتاح إلا بتنفيذ أوامرها؛ لأنها قادرة على أن تعكر صفو حياتي أكثر مما أتخيل، هكذا

أملَت عليَّ نفسي أوامرها، فبحثتُ عنه في موقف الأتوبيسات علـه هنـاك، لا أعـرف مـن أخبرني ولكـن الأمـر كلـه ينحصـر بالانصـياع للمشـاعر، حاولـت كـبح جمـاح أهـواء نفسـي لكنهـا قهرتني، وأبقتني طريـد الهـوى والعـذاب، أمسـكته أخيراً وهـو يختبئ خلـف شـجرة، عـدت بـه للمنزل في سـيارة أجـرة، ركبـت بجـوار راكبـين بـديا لي وكأنهمـا صـديقان منـذ أمـد، بينمـا كنـت أشـدد عليـه قبضـة يـدي وأسـترق بمسـامعي كلماتهمـا الخافتـة، فهمت منهما أنهما يتحدثان عنه، ركزت معهما فوجدت إشارة يد احدهما تعطيني إيحاءً بأنه قد مات، طالبتُ سائق التاكسي بالوقوف بسرعة على جنبات الطريق، توقف الرجل في ذهول وكأنـه يتردد في نصـحي بعـدم النزول، وهنـاك في قلـب الظـلام ألقيـت بـه على جانـب مـن طرقـات الليـل، ثـم عـدت مـن حيـث دفنته.